

وقفه عند "المرأة والاسطورة" في شعر الجواهري

رحاب حسين الصائغ

منجل الحب يحصد مخاوف العشاق في أمسيات، هوأوها عليل على ضفاف ما، أو روابي ساحرة... والحب في نظر الجواهري يشبه الاسطورة... والاسطورة تقول: أن أفروديت الهة الحب والجمال والاحصاب ابنة زيوس من ديونا، وزوجة هيفايستوس أنجبت من آلهة الحرب آروس إله الحب، وكانت تسمى قبرص وكوثيريا، وكانت تعبد في أثنا، وتسمى فينوس عند الرومان، ويقال أنها هي المعبودة الشرقية (عشترت) ... وجالا، وصيفة أفروديت غانية تفهم أن المرأة خلقت من الجمال وللحب، وان ذلك الآخر، الرجل، هو جزء من لعبتها، وحين وحين يدلي الحب بأغصانه وظلاله الجميلة تقتنصه ولا تتركه إلا هائماً في قارب الحب وسط نهر بدون مجذاف، أو شراع يستدل به الشاطئ وقلبه صاعراً لأخين الغواني.

... والجواهري لا يقع في شرك الغواني، فهو شعلة غطت غناء السماء بمحاسن الجمال يختال تهيج الليل ويمشط فجراً كنهود الصبايا ثم يميت النهار على ساعاته المنقرضة في وصف " أفروديت وجالا" حيث يقول:

ثم نادى "جالا"، وكانت من الرقة... كالماء إذ يهزّ الخيالا.

تعرف ما يرضي الغواني...! وما يزين الجمالا!

هو يدرك أن اتباع النفس واشتهااتها لا تفيض إلا بكل الاشباع من الأساطير المعطرة، نراه يمزج روعة تلك الاسطورة، وروعة الحياة الدائبة على جعل الزمن المتحرك في السنين من لوعة وحرقة والصلاة فيها، عذاباً أمثل يقود الرجال إلى محرابه طائعين.

أصلاة يبغون حتى يثيروا... رغباتي؟ فلتصعد الصلوات...! وهبيهم

ينأون عن رؤية الأرض، هبيهم شاخوا.. هبيهم ماتوا..! أفترى مثلي..

ولم تروا ممن تتلظى لأجله الرغبات.

يدرك صور الجمال في انقياد الروح والنفس ويشم بعقله قوة الورع الذي يداخل غرور الرجال في حالة العشق للجسد حدّ الانتهاء، وهم يدنون الغمسات الأخيرة في لهاث الاستثارة من مكنون هذه المخلوقة التي تسمى أنثى ولها سطوة شاطر سور فرحهم وحنزهم بلمسات تطير بهم إلى عالم الغيبوبة، لا فرق عندهم بين ليل أو نهار غير اكتمال حالة الإشباع من ظل لا يفتأ الانتهاء وعن لسان العشاق يقول:

وتمشت مهتاجة.. يتمشى العجب والحسن في الدماء غزيراً... نحو حمامها ترى من

خلال الماء.. فيه ما سيستثير الغرورا..! جسمها اللدن.. والغدائر تنساب كما أرخت

العذاري ستورا...! وخرير المياه في السمع كالقبلة..حرارة تهيجُ الشعورا... عبت

نفسها.. فداعت النهدين بالشعر غبطة وحبورا..!

ويعود للتساؤل عن رؤية مبنية في تداخل الحاجات التي قادت البشر إلى التأمل لإدراك العالم... وعالم النساء لا يعرف الإنصاف عند "جالا وأفروديت"، لا ربط عندهن بين حرية الروح وحرية الجسد، وبالتالي نستطيع القول ان للرجل روحاً تصارع هواجس كل معرفة ومنها معرفة هذا التناقض الذي تمتلكه المرأة وتحمله كسراً من أسرار الكون عندما تناغي عشاقها:

يجهلون إنتقامة.. واشتهاء! فيموتون تحت سوط عذابي... ثم أمشي عليهم مشية الطاووس، أحشو وجوههم بالتراب!. هؤلاء الذين أطلب لا الساعين نحوي جسماً بغير فؤاد!! المساكين!. هم بوادي.. ومن يطلب صرعى الحب المميت بوادي..

لهذا نرى الجواهري حين ينطق الشعر على لسان "جالا" يعبر أكثر عما يخالج الشعور عند الرجال في حالة الهيام القاتل والتلذذ بالهوى وسحر ظلاله، ويذهب كل مذهب بالفناء وصراع المعنى على أيدي هؤلاء الغواني حدّ الشعور بحالة الاغتراب الذي يقود إلى تخلص القيمة الهادفة من هذه العلاقة، وهل الرجل يكون في حالة تناسخ روحي؟! أمام فتنة الغواني كما يشير هذا المقطع:

لك - كالبراكين تحت ظلال السرو؟ رقا وأوغلا- عينان..! لك- كالزهرتين صبت دماءً من غزال عليهما- لك كالخنجر المغطى بذاك الدم مخضوضبا! شقيق لسانٍ ... لك... نحرٌ كما تبلج للصبح عموداً ضوى به المشرقان... لك صدرٌ كسلة الزهر- بالنهدين نطت فويقه زهرتان!... واستقامت كمثل أعمدة العاج، الذراعان منك والفخذان! لك تلك المدورات..!حلي مبهر صنع معجز فنانٍ .. لك بطن كأنها مخمل الديباج ...

لذلك، وأمام هذا الجمال يرى الرجال متلاهثين ناسين الجمال المتناغم في علاقة الكائنات... ويرتقي الجواهري إلى مراتب الجمال المعروف ويطلق العنان لنظره وعقله ويقطع حالة التأمل التي زرعت عنده من قبل "جالا" جارية أفروديت، وينظر إلى التجربة البشرية التي تربط المجتمع ببعض، ولا شك هي صورة جمالية في الحب البريء بين المرأة والرجل في بعض الأحيان يكون خارج السيطرة العقلانية.. أما تطور العلاقة إلى ارتباط.. وأما انتهاء الحالة إلى فراق. وليس الانغماس في شهوات تؤدي للمهاوية كما يذكر عن لسان "جالا":

وتمطت كأفعان تلوى فهو يشوب بسمه وهويشوى، وهو يروى بلدغة وهي تروى! إذ ترى جسمها المميت الفظيعة... وشباباً غضاً وخلقاً بديعاً... وثماراً شهية، وزروعاً... نثرت فوقه!.. وصدراً ونحراً وسيلاً منه تفجر نهراً... ودماً فاتراً يصب سريعاً، تاركاً أينما جرى ينبوعاً كل عرق منها تفصد خمراً وهي تروي... حقداً وزهواً وغدراً

نجد هنا الجواهري يشمئز من الغواني وماله من جمر الهوى في كبت الحب وتسعير نار الجسد وتركة خاويًا يعيشها المغرم بعيداً عن أي تجربة انسانية تحته على بسط العقل وعدم الانغماس في لذة خاطئة تحوله إلى إنسان مجرد من المشاعر الحسية لحياة طبيعية تحمل الاخلاق، أخلاق الرجال... ولكنه لا ينكر سحر النهود ودلال الغواني الذي يحرق لبّ الرجل ويوقعه في شباكهن، "فجالا" جارية "أفروديت: تتغنى بجمالها الذي يشبه الطاووس ويوقع المساكين صرعى حبها.

والجواهري من رؤيا الاسطورة لا يبتعد عن "جالا" وغدراها فيصف جمال الغواني في آخر قصيدة أفروديت قائلاً:

إذ ليالي الليل... رمز الحياة عطرات بمدرج الفتيات في ضفاف "البحيرة" النشوانة ترتمي في نмира حرانة كلّ عذراء... وردة معطاف يتساقطن موقع الاصداف... وعليهن من نمر صاف أي ستر مهلهل... "كشاف"؟! إذ حقول الليل مرتميات بقدم الربيع محتفيات يتضحكن في مدب الشعاع راجفاً فوقها ارتجاف "البراع" إذ غدا الجو من أريج المراعي خدر النساء من بنات الغرام سابحاً... في العطور و"الانعام".

عن موقع الحوار المتمدن

العدد: 1592 - 2006/6/25